

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ ملها

الاشتراكات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المنول

أحمد حسن الزيات

المحررة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - حادين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥٨٧ « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ شوال سنة ١٣٦٣ - الموافق ٢ أكتوبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

نقد عسكري

للأستاذ عباس محمود العقاد

الفهرس

نظر الكاتب العسكري الفاضل الملازم الأول سيد افندي فرج نظرة مجاملة في كتابنا « عبقرية خالد » الذي هو أقرب الكتب في « العبقرية » إلى موضوع الكتابة العسكرية ، فأثنى عليه وتناول بالملاحظة والنقد مواضع منه متفرقة يرجع معظمها إلى خواشي الموضوع دون صميمه

والثناء يخصنا فلا محل له من التعقيب بينما وبين قراء الكتاب أو قراء الرسالة . أما الذي نقب عليه هنا فهو مواضع النقد والملاحظة التي تحتاج إلى جلاء وتفرقة بين وجهة النظر ووجهة النظر في رأى الجندى الأديب

قال حضرته : « يرى الأستاذ العقاد أن الخليفة الصديق كان يضع الخطط التي ينفذها خالد ... ولكن النصيح شيء ووضع الخطط شيء آخر ، والمثال قريب . فإننا نرى في الحرب الحاضرة أن الرئيسين روزفلت وتشامشل - وأيضاً فوهرر ألمانيا - يسمون الخطط العامة ، أى يحددون الأهداف ويرسمون مع قادتهم ما يحتاجه الموقف من حشود ومعدات ، ثم يبدأ دور القائد العام فينظم قواته ويوزع واجباتها ثم يقوم بتحركها إلى الساحات المعينة ... وهي أمور لا يعرفها الرؤساء المدنيون الذين

صفحة	
٨٨١	نقد عسكري ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٨٨٢	الحروف اللاتينية لكتابة العربية ... : الدكتور عبد الوهاب عزام ...
٨٨٧	ثقافة الشاعر وأثرها في شعره : الأستاذ دريني خنبة ...
٨٨٩	في عالم القصة ... : الأستاذ سيد قطب ...
٨٩٣	اللغة القانونية في الأقطار العربية : الأستاذ عدنان الخطيب ..
٨٩٦	المعدة : كنفة من القند ... : الدكتور حيدر السمان ...
٨٩٧	(١) مصرع الجبال [قصيدة] ... : الأستاذ علي الجندى ...
	(٢) الأرض الدنة ...
٨٩٨	تعقيب ورد ... : الأستاذ عبد النعم خلاف ...
٨٩٩	رأى الأب مرمرجي في وحدة الوجود ... : ...
٩٠٠	بين الفلسفة والدين ... : الدكتور زكي مبارك ...
٩٠٠	كتب جديدة للدكتور محمد الأديب حين محمود البشبيشي ...

فالعرب لم يتخذوا نظام الكراديس لاختلاف مواقع الأرض لأنهم حاربوا بالكراديس في وقعة ذي قار وهي بطحاء ، وحاربوا بالكراديس في اليمامة وهي جبلية ، وحاربوا بالكراديس في اليرموك وهي بين الجبلية والبطحاء ، وإنما كانت علة اختيار هذا التشكيل هي ما ذكرناه في الكتاب مستنداً إلى الواقع دون سواء ...

وقال الناقد الأدب : « ليس في الكتاب تصوير للوقائع الحربية ، أعني تفصيه المعلومات الخاصة بقوات الفريقين المتحاربين في كل وقعة ، وأسلحتهم وأوضاعهم والظروف المختلفة التي كانت تحكم في سير القتال ، حتى كانت عبقرية خالد الحربية تظهر بأسبابها وتفصيلها ، ولا شك في أن الصعوبات التي نعرفها عن مصادر البحث ، وأن الكتاب لا يختص بالناحية الحربية وحدها هي التي حرمتنا تلك الدراسة النافعة »

والمعجب أن هذه الملاحظة كلها تخالف الواقع من الآف إلى اليا . فقد عني بإحصاء عدد الجيوش في حروب خالد من مصادر شتى ، وأثبتنا التفاوت البعيد بين الروايات المختلفة ، ومن ذلك قولنا عن حرب اليمامة « ولا يعلم على التحقيق عدد الجيش الذي معه في عقربان ، ولكنه على التقريب يجاوز الثمانية الآلاف ولا يقل عنها ، لأن جيشه بالزخا نحو خمسة آلاف ، يضاف إليها جيش شرجيل بن حسنة الذي سبقه ولبث في انتظاره ، ولا يقل عن ألفين ، ويضاف إليهم الردء الذي أرسله الصديق وراهم بقيادة سليط بن عمرو ليحصى ساقهم ، وغير هؤلاء من تطوع للحرب مع المسلمين من بني تميم وبني حنيفة ، فهم في جملتهم يجاوزون الثمانية الآلاف ولا ينقصون عنها إن نقصوا إلا بقليل »

فنحن لم نكتف بالإحصاء المنصوص عليه بل أضفنا إليه الإحصاء الذي يجمع بالقبالة والاستقصاء ، ثم قلنا : « ... وبلغ عدد القتلى جميعاً في ذلك اليوم بين ساحة القتال وحديقة الموت عشرات الألوف : أقلهم في تقدير المقدرين عشرة آلاف من بني حنيفة وستمانه من المسلمين ، وأكثرهم في تقدير المقدرين يرتفعون إلى سبعين ألفاً أو ثمانين ألفاً حنفيين وألفين مسلمين ، وهو رقم لا يدل على نبأ صحيح ، ولكنه يدل على هول صحيح

لا يتيح لهم ظروفهم دراسة الميدان وأوضاع العدو وفهم ضرورات الموقف الحربي العام »

والذي يبدو لنا أن الناقد الفاضل قد نسي الشيء الجدير بالذكر في هذا المقام ، وهو أن الفرق بين أبي بكر الصديق وخالد ابن الوليد ليس كالفرق بين روزفلت وتشرشل وبين إيزنهاور ومنتمغري وويغل رسائر القواد

بخالد بن الوليد لم ينشأ في مدرسة عسكرية غير المدرسة التي نشأ فيها الصديق وسائر الخلفاء عليهم رضوان الله . وما يفهمه الخليفة من مواقع القتال العربية شبيه بما يفهمه القائد الحاضر في الميدان . فهلا غرابة في سبق الخليفة ببعض الخطط على حسب المعلومات التي اجتمعت لديه ، وإن كان هذا لا ينفي أن الشاهد يعلم ما ليس يعلمه الغائب ، وأن القائد في تنفيذه يضطلع بالمهمة العملية ويفرد بها دون الخليفة صاحب الخطة أو صاحب النصيحة ، وهذا الذي رجحناه حين قلنا : « إن خالداً قد تولى التنفيذ في ترتيب أعماله وتولاه أيضاً في أوائل خطته ، ولكنه قد وكل إلى نفسه في الأمور التي يعلمها الشاهد ولا يعلمها الغائب ، ومنها موعد السير وطريقة الهجوم واللقاء »

وإنما حدث هذا في بعض حروب الردة ولم يحدث في حروب خالد جميعها ، لأن الخليفة لم يتجاوز النصيحة العامة في حروب العراق والشام

وقال الناقد الأدب : « ذكر الأستاذ العقاد أن تشكيلات جنود العرب للقتال إنما كانت تنظم على النحو الذي تتطلبه أسلحة الخصوم ، فقال إنها كانت تحارب مرة بالصفوف ومرة بالكراديس ، وهو قول حق ، غير أن هناك عوامل أخرى تمل على القوات نوع التشكيل كحالة الأرض والنسبة العددية وأوضاع العدو وخطته ، ولنضرب مثلاً بحالة الأرض وتأثيرها في التشكيلات ، فالأرض المكشوفة التي تتيح الرؤية بسهولة تحتاج إلى تشكيلات مفتوحة أي متباعدة توفيراً للخسائر . أما الأرض الجبلية وذات المسالك المحددة فتتاسبها التجمعات ... » ونحن نقول : إن تعدد أسباب التشكيلات لا دخل له فيما نحن فيه ، وإنما الذي يعنيننا هو الذي حدث في الحروب التي أشرنا إليها بين العرب وخصومهم من الفرس والرومان

سرى في الآفاق من أنباء تلك المعركة

ولقد كنا نضيق ذرعاً بهذا التفاوت البعيد في الروايات وفي وصف الحركات فنتركه جانباً عند الحكم الفصل في الأمور ولا نجعل هذا الحكم الفصل معلقاً عليه ، وقررنا ذلك فقلنا : « إذا كان كل شيء في المعركة يتوقف أحياناً على كذا وكذا من الخطرات في السبق إلى حومة القتال ، وكذا أو كذا من الأشياء في طول الرماح ، وكذا أو كذا من التفاوت في سرعة التغذية هنا أو هناك ، وكذا أو كذا من الحركات إلى التمين أو إلى الشمال وإلى الأمام أو إلى الوراء ؛ فتفصيل أسباب النصر في المعارك القديمة على التخصيص ضرب من المستحيل ، لأن إثبات الفوارق بين المسكرين في الأسلحة والمراعي والمدد والحركة غير ميسور ، وأقصى ما نطمح فيه أن نقع بالإجمال دون التفصيل »

فنحن قد أثبتنا من التقدير والوصف ما هو صالح للإثبات ، وتعمدنا اجتناب التقديرات المتفاوتة والأوصاف المتناقضة لأنها لا تصلح للتحويل عليها ولا يحسن بالآثر أن يرجع إليها بغير الإشارة والترجيح كما قلنا « بالإجمال دون التفصيل »

وقال الناقد الأدب : « لاحظت أن في الكتاب ميلاً إلى اتهام خالد بالقسوة ... وليس يغرب عن البال أن صفات الشدة والصلابة هي سمات الرجل المسكرى الذي لا ترضيه أنصاف التدابير ، بل يهجمه أن يضرب ضربة واحدة تقصر أجل الحرب وتختصر الآلام ، وكثيراً ما أملت الظروف على عطاء القادة أن يكونوا غلاظ الأكباد ، لا شيء طبيعى في نفوسهم ، ولكن لأن أعمالهم تحتم ذلك ، فيكون في الشدة الرادعة ما يشبه الدرس للآخرين ، وخصوصاً في ظروف حاسمة لا تسمح بالتراخي واللين »

والذي لاحظناه من صرامة خالد هو الذي لاحظته عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين قال : « إن في سيف خالد لرهقاً » بل هو الذي بدا من براءة النبي عليه السلام إلى الله مما فعل « خالد بن الوليد » بعد حادث بني جذيمة

على أننا نفينا عنه قسوة الضميمة الشائنة وقلنا : « إن هذا الولع كله بالحرب لم يكن ولعاً بالشر والسوء ، ولا ولعاً بالضميمة

والبغضاء ، فسكانت عداوانه كلها عداوات جمدى مقاتل ، ولم تكن عداوات مستطعن آثم ... وعلى كثرة من قتل خالد في حروبه لم يكن يقتل أحداً قط وهو يشك في سوابق قتله وإن أخطأ وجه السواب . . . أما إذا شك في سوابق فهو يستكثر المساءة إلى رجل فضلاً عن الجحافل والقبائل ، ويسبق إلى الرفق رجلاً كأبي عبيدة عرف طول حياته بالرفق والرحمة والأمانة ... » ونحن بعد هذا لا نستغرب الصلابة في أخلاق رجال الحروب ، ولكننا لا نفتقر سفك الدماء لغير ضرورة وبغير حساب ، فإن الشجاعة صفة إنسانية عالية ، وليس مما يوافق الصفات الإنسانية العالية أن تهون حياة الألوف لغير سبب وبغير حجة ، وأن يعمل القائد في الميدان كأنه ليس بإنسان ، وما علمنا قط أن الرفق في أخلاق المسكرين كان عائقاً بينهم وبين الظفر والنجاح ، فإنهم بهذا الرفق يحسنون صيانة الأرواح في جيوشهم ويكسبون ثقة الأمم ويحاربون بالسمعة المشكورة كما يحاربون بالرهبة والسلاح .

وقال الناقد الأدب : « ... كان ضرورياً أن يذكر فصل خاص بصفات خالد الحربية ، وفصل آخر خاص بقانونه الحربية ، وفي الأول نستطيع أن نفاضل بين خالد وغيره من عطاء المسكرين في جميع المصور »

والمعجب أيضاً في هذه الملاحظة أن الناقد الأدب يتطاب هذا الفصل وهو معقود في الكتاب ، ويتطاب المقابلة بين خالد وغيره من العطاء المسكرين ، وقد قابلنا بينهم وبينهم في موضع المقابلة .

وفي الكتاب فصل في عبقرية الحربية يستغرق اثنتي عشرة صفحة ، وفي هذا الفصل تقول : « إن المقارنة بينه وبين قواد الطراز الأول في الزمن القديم تقدمه إلى المرتبة الأولى بين أكبر القواد ، ومنهم الإسكندر وبليزاريوس اللذان حاربا عدواً كمدوه في ميدان كيدانه . فالإسكندر في وقعة اربل هزم جيشاً فارسياً تقدر عدته بمائة ألف من الفرسان والشاة ، وبليزاريوس في وقائع أرمينية هزم جيشاً فارسياً تقدر عدته بأربعين ألفاً أو قرابة الأربعين ، والمقارنة بين خالد بن الوليد وهذين القائدين ترجح

الحروف اللاتينية لكتابة العربية للدكتور عبد الوهاب عزام

سمعت منذ شهرين أن سعادة عبد العزيز فهمي باشا الذي اقترح على مجمع اللغة العربية أن تكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، يطبع كتاباً يجيب فيه المعارضين على رأيه ، فقلت لمن أخبرني : جدير بكل ذي رأى أن يدفع عنه حتى يتبين للناس أنه مصيب أو يفتين له هو أنه مخطئ .

ثم أرسلت إلى نسخة من الكتاب منذ عشرة أيام فتمجلت النظر فيه آملاً أن أجد جدالاً يملأه الإنصاف ، وتحوطه التؤدة والأناة ، ويقصد إلى الغاية على طريق مستقيم لا يبحر به الهوى ، ولا تحيد عنه العصبية ، ولا يقطع الكلام في غير الموضوع على غير وجهه .

ثم عبرت الكتاب فإذا المؤلف بعدد في القسم الثاني من كتابه ثلاثة وعشرين عنواناً متوالية على العدد ، ويحاول بعد كل عنوان أن يذكر اعتراضاً ويرده ، ولو استقام البحث على هذه الطريقة لاستوعب المؤلف الاعتراضات كلها ، وأجاب المعارضين جميعاً غير مخرج على الأشخاص ، ولا هان عن الجدال

كفته على كفتيهما معاً في هذا الميدان ، لأن الإسكندر كان يقود خمسة وأربعين ألفاً ، وبليزاريوس كان يقود نيفاً وعشرين ألفاً ، وكلا الجيشين مسلح بأمضى الأسلحة في ذلك الزمان « أما الفن العسكري عند خالد فلو أننا نقلنا ما ذكرناه عنه في الكتاب لضاق به المقام ، وحسبنا أن نشير هنا إلى فقرة واحدة تدل على جملة أوصافه حيث نقول : « . . . إنه لم تعوزه قط صفة من صفات القائد الكبير المفطور على النضال ، وهي الشجاعة والنشاط والجلد واليقظة وحضور البديهة وسرعة الملاحظة وقوة التأثير ، وإنه كان يضع الخطة في موضعها ساعة الحاجة إليها ، فكان يحارب بالصفوف كما كان يحارب بالكراديس ، وكان يحارب بالسكبن والكمينين كما يحارب أحياناً بغير كمين ، وكان يستخدم التورية والمباغلة والسرعة على أنماط تختلف باختلاف الدواعي والأحوال . وقد علم أن تمزيق

في الرأي إلى الاستهزاء بصاحبه والافتراء عليه . ولكن الأستاذ عرض في بعض هذه العنوانات لذكر أشخاص بأوصافهم أو بأسمائهم . وأطال في تجربتهم بأشياء توهمها لاتصل بموضوع الجدال صلة قريبة أو بعيدة ، علي حين أوجز في الفصول التي ردت فيها الاعتراضات غير مبال بالأشخاص . فتم صفعه عن قصده إلى الانتقام من ناس خالفوا رأيه ، ودل فعله على أن تجربته هؤلاء ينال من اهتمامه نسيباً أكبر من الاعتراضات التي جادل فيها .

وقد قرأت الفصل الخامس عشر الذي تكلم فيه عن كاتب أرسل إليه بالبريد صحيفة فيها مقال يجادله فيه . قرأت هذا الفصل متمججاً مشدوهاً لا أكاد أصدق أن هذا الهجوم الحاقد والظمن المتدارك خطه قلم الأستاذ الجليل . . . وحسبت أن الأستاذ ترك الموضوع إلى هذا الظمن والتجريح في أمور لا صلة لها بالموضوع عقاباً لرجل يعرف الباشا أنه يستحق ما يرميه به ، ويرى ألا يصيغ الفرصة للانتقام منه . وحسبت أن الرجل لو لم يكن جديراً بهذا مارماه به المؤلف . ثم عرفت الرجل المقصود من بعد فإذا هو رجل مجاهد مخلص يعمل دائماً صامتاً لا يمارى ولا يفترى . فنبئت حيران لا أدري ما وراء هذا من سر . وللرجل قلم هو أولى الأقلام وأقدرها على الدفاع ، فليست بمحاولة الدفاع عنه ، ولكني

الجيش أجدى في الحرب من الحصار والاحتلال ، وعلم أن الخبر قوة وسلاح ، فكان يستطلع أخبار العدو ولا يتيح له أن يستطلع خبراً من أخباره ، وأجدى من ذلك أنه كان لا يفعل عن القوة الأدبية يمزحها ما استطاع في جيشه ويضعفها ما استطاع في جيشه .

وهذا قليل من كثير مما كتبت عنه عن عبقرية خالد الحربية مجموعاً في الفصل الخاص بها أو موزعاً في سائر أجزاء الكتاب فلا تريد أن تقول إن الناقد الأديب قد تجاهله حامداً أو قرأه ولم يظن إليه ، ولكننا نقول إنه قرأ جانباً من الكتاب وفاته جانب آخر أو جوانب أخرى ، وهو على ذلك مشكور لحسن قصده والتمهيد لهذا البيان في تصحيح ملاحظاته ، وتيسير الحكم للقراء فيما قلنا وما قال

أجعل الطعن فيه والبنى عليه مقياساً لما في كلام المؤلف من
ثبوت وتورع عن ظلم الناس والعدوان عليهم
وكان العنوان : « الحادى والعشرون » نصيبى من رد
سماعة الأستاذ

وأنا أقدم قبل مجادلته فيما ادعى ، أنى كتبت فى هذا
الموضوع قبل تسع سنين حينما نشرت فى مجلة الرسالة مقالاتى
عن النهضة التركية الحديثة . وأنى عُنيت به منذ غير الترك
العثمانيون كتابتهم . وحادثت فيه وجادلت فى مصر والبلاد
العربية وفى تركيا وأوربا قبل أن يختار الأستاذ عضواً فى مجمع
فؤاد الأول للغة العربية . وقد اخترت موضوع محاضرتى :
« الخط العربى . مزاياه وعيوبه » قبل أن يُنشر تقرير الأستاذ
الذى قدمه إلى المجمع . ونحن نسجل موضوعات المحاضرات
العامة أول العام الدراسى ثم نلقها ولأى أوقاتها . ولم يكن
سماعة الأستاذ يشغلنى كثيراً وأنا أكتب محاضرتى وإنما عمدت
إلى البحث الصرف غير مبال بالأشخاص لاسيما سماعة الكاتب
الذى لم يتدع هذه البدعة بل تبع فيها دعاة هم أولى بأن يجادلوا فيها
ولكن المؤلف توهم نفسه إماماً فى هذه الدعوة ، وحسب
كل مجادل فيها بعينه لا بعنى غيره ، وظن أن كل مخالف عدو ،
وأن العدو ينبغي أن يحارب ، وأن الحرب تبيح كل عدوان
ويعلم الله أنى حين قرأت ما كتب الأستاذ عزمت على ألا
أجاده بأساً من جدوى الجدال الذى يُبتدأ على هذه الطريقة .
وقلت كيف أجادل كاتباً حديد الطبع ، تحمله الحدة على التسرع ،
ويُسِّيه التسرع الثبوت ، ومن نسى الثبوت كان حرياً أن يسير
على غير طريق إلى غير غاية ، جديراً أن يقول غير سديد ، وبطمن
غير مقتصد . ثم أشار على بعض الإخوان بالإجابة ، كما أشار
عليه بإجابة المعترضين « بعض المهتمين بهذه المشكلة »

وأبدأ بمجادلة الأستاذ فى الخطة التى ارتضاها لنفسه ، وأقول
غير متردد : إنها خطة جائزة منكرة تكفل لصاحبها ألا يهتدى
إلى صواب ، ولا يعتمد على ضلال ، خطة تُعنى بأصحاب الآراء
أكثر مما تُعنى بالآراء ، ثم لا يبدل أصحاب الآراء من هذه
العناية إلا الاستهزاء والبنى والسواء على صاحبها أن
يقارب الحق أو يباعده ، وأن يصف خصمه بصفاته أو بما يناقضها

توهم الأستاذ لى صفتين أحسب أن وصفى بهما لا يكون
إلا ميلاً مع الهوى ، وجوراً مع الغضب ، ورجماً بالأوهام
عرضت لعيوب الكتابة الأوربية ، وبينت من شذاعتها
ما لا تذكر معه عيوب كتابتنا . ثم قلت إن الكتابة الأوربية
عمية بالأساطيل والظلمات والفتنة والهيبة اللتين تأخذاننا من
كل جانب . وهى كلمة حق تجمل ما نحن فيه من افتتان بكل
ما يأتى من أوربا وازدراء لكل ما عندنا . وما قصدت بهذه
الكلمة الأستاذ عبد العزيز باشا ولا جماعة فى مصر ، ولا
المصريين وحدهم ، ولا البلاد العربية فحسب . بل أردت بها
ما يعم أقطار الشرق كلها من هذه الفتنة . فأنارت هذه الكلمة
نائرة الأستاذ ، وقد اعترف هو بهذه الفتنة فى نفسه حين قال
وهو آخذ بمخفق الكاتب الذى أرسل إليه مقالاً بالبريد . قال
هو يعرب عن إكباره وإعجابه بالقوانين التى أخذنا عن أوربا :
« اعلم معلماً أن العقول التى كشفت لك عن عجائب
الكهرباء . وهيات للناس التلفزيون واللاسلكى . كما كشفت لك
عن معجزات الطيران الذى طبق عليك وعلى جميع الناس
أرجاء السماء — هذه العقول لها أخ من أبويها يشتمل إلى
جانها بمسائل القانون ويسمو فى بيئته إلى ما يسمو إليه إخوته
الآخرون ، ولكنك لا تراه لأن نظرك قصير »

وكان يمكن الأستاذ أن يطرد القياس ، فيقول : ولهم كتابة
هى ولا شك أفضل من كتابتنا ، وهى العلاج الوحيد للفتنة . الخ .
أليس قياس القانون على الطائرات ونحوها هى الفتنة التى
ذكرتها فغضب الأستاذ . ولا أدرى لماذا ثار الأستاذ فقال عنى :
(هنا خلع العلم ثوبه وارتدى ثوباً سواه ، الوطنية اللفظية ،
ولحة أناشيد أرباب الحناجر .) ومغى يكرر هذا المعنى إلى أن
قال : « بل لى واهم فيما أخشاه على الأستاذ من إمكان حمل عباراته
على معنى تعمد مسابقة أرباب الحناجر فى حلبة الوطنية اللفظية »
وجوابى أن الله يعلم وأصحابى وتلاميذى يعلمون أنى لست من
أولى الوطنية اللفظية ، ولا ممن ينشدون أناشيدها ويكدون
حناجرهم فيها ، بل كل صلتى بالوطنية العمل الصامت الدائب الذى
لا يبنى من الناس جزء ولا شكوراً ، وأن اهتمام مثل بهذا

جدير بأن يُلقي الشك في كل ما يزعم المتوهم وينفي الثقة عن كل كلامه

ثم انتقل الأستاذ في غضبه وانطلاقه مع الغضب غير مثبته ولا مثبت ، فوصفني وصفا آخر يناقض الوصف الأول في معناه ، وبواقفه في أنه باطل مثله . وصفني الأستاذ غير عارف ، أو متجاهلاً تجاهل المعارف بأنني رجل متوقر مترمّم . ثم لبث يشرح التزم وبين آثاره في خلقه صاحبه وخلقه ، وفي الوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج ؛ فكتب صفحتين في هذا كأن مقصده الأول الكلام في التزم لا الدفاع عن بدعة الحروف اللاتينية ، وأنا أعرض على القارئ مقدمة كلام الأستاذ في التزم ثم أسأله كيف يسمّى هذا الكلام ، وما ظنه بمن يرى به وهو يجادل في الحروف اللاتينية ، ويلفظه وهو يجادل رجلاً بعيداً كل البعد عن التزم ، قال الأستاذ :

« والتزم ، أبارك الله ، متى أخذ بخناق الرجل نكسر خلقه . إنه يورث اقعنساساً فيبدر مقعر الظهر ، محدب الصدر ، منتفخ الأوداج ، محتمن الوجه ، بارز الحدقتين . في الأوج هامته ، وفي الحضيض همته . إن لم يكن كالملق بجبل المشقة ، فهو على الأقل ضابط سيف مسلّم بأورطة الأساس ، يمشي متشاكخاً مدلاً بكفائته بين أنفار القرعة المستجدين . هكذا يفعل التزم . ثم هو يخرج في تصرفاته عن التماير المألوفة بين الناس . يحمله متى أراد إخراج الكلمة من فيه رطلاً خرجت على الرغم منه قنطاراً . وإذا أرسل صوته يميناً التوى فذهب شمالاً ، وإذا بصق أمامه على استواء نكص البصاق إلى الوراء ، هو يخرج منه فيه ، فيرتد لما فيه فيمجهبه » الخ

هذا أيها القارئ مقدمة كلامه في التزم ووراءه كلام طويل تناول الوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج ، وإن أراد الكاتب أن يضحك باكياً فليقرأ بقية الفصل ويرى كيف تعب التزم في كيل الزكاة وخلق دجاج الدار حين جاء يلفظ الحب ، ثم طلق امرأته إذ أمرها بإخراج الدجاج الميت فلم تمقتل . وكيف فعل في الصلاة والصوم والحج ، ثم ليدلني القارئ على صلة عاقلة أو مجنونة بين هذا وبين الحروف اللاتينية واللغة العربية ...

وأنا أنشد الأستاذ الله الحق أن يسأل نفسه هادئاً إن استطاع : أهذه الأوصاف تنطبق على أو عليه خلقه وخلقا .

ثم أنشده الله الحق : ألا يشعر بشيء من التناقض والتهاوت والتهاافت في أن يصف إنساناً في مقال واحد بأنه من أرباب الحناجر وأنشيد الوطنية اللفظية ، وبأنه متوقر مترمّم ، ثم أنشده الله الحق مرة أخرى : أحسب نفسه صادقاً حين وصف بهذه الأوصاف رجلاً يعلم الله وكل من يعرفه من الناس أنه من أبعد خلق الله عنها . إن كان قد غيبي على الأستاذ وصف إنسان بمعاشره وبما يشه في بلد واحد ، وخفي عليه سيرة رجل قريب منه يستطيع أن يعرفه باللقاء والمحادثة ، ويستطيع أن يسأل عنه أصحابه وتلاميذه ، إن كان قد ذهب عنه هذا كله إحتقاراً للناس أو إحتقاراً للحق أو ولوعاً بالافتراء ، وجرحاً مع الهوى ؛ فهل يشق عاقل بكلامه في الأمور المعنوية المعبية ، الأمور التاريخية والاجتماعية واللغوية الدقيقة ، هل يظن عاقل أن من يجري مع الهوى وطلق الجوح ، ويسير الباطل هذه المسيرة يكاف نفسه غناء في بحث موضوع أو وزن دليل ، وتقدحجة ؟ إنى لا أنال من سعادة الأستاذ بمثل أن أدعو القارئ إلى قراءة هذا الفصل المضحك المبكى فهو أبلغ شيء في وصف نفسه ووصف كاتبه

وليت شعري أهذا شيء حديث عرض لسعادة الأستاذ أم كان بهذه الطريقة نفسها يعالج قضايا الناس محامياً وناظراً وقاضياً ؟ وبعد ؛ فقد قرأت في كتاب فارسي هذه القصة :

ذهب رجل إلى طبيب وشكا إليه أنه يحس في صدره عقداً ، قال الطبيب ما صناعتك ؟ قال شاعر . قال نظمت شعراً منذ قليل ؟ قال نعم . قال أنشدته أحداً ؟ قال لا . قال فأنشدنيه ؟ فأنشده . فاستعاده مرات . ثم سأله كيف تجدك الآن ؟ قال أشعر براحة ، قال الطبيب هذا يشعر كان معقداً في صدرك

لعل سعادة الأستاذ استراح بعد أن أخلى صدره من كلام تعقد فيه زمناً طويلاً ، وقد بعد عهده بمجادلته في الجمع التي ضج منها الأعضاء ولا يزالون يضحجون ويشكون ، وكان في مجادلة الجمع عوض عن مجادلات ألفها المؤلف طول عمره . فإن كانت عقدة صدره قد انحلت بما لفظه علينا من البغي والافتراء ، فليحمد الله الذي شرح صدره

وفي المقال الآتي أناقش الأستاذ في الكلمات القليلة ، التي كتبها في الموضوع آسفاً على أنه أخرجني عن البحث كارهاً مشعراً ولا ذنب المعكرو ، وللناس والأفلام عن تكبره فيها على ما لا تود ، وتكلف ما يشق عليها .

(لكلام صلة)

هيب الزهراء هزام

ملتوى التفكير ، معقد الأداء ... وضربوا لذلك مثلاً ...
أبا الطيب المتنبي ، وأبا العلاء المعري ... فلم يفتنى أن أعرضهم
بأبي تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ...
وهكذا ننتقل فجأة إلى قضية أدبية طريفة ... ليست أقل
قيمة من تلك القضية الشائكة ... قضية وحدة الوجود ...
والعياذ بالله !

إن إخواننا هؤلاء ، يزعمون أنه لا ضرورة مطلقاً لأن يتعمق
الشاعر في ثقافته ، لأن ذلك يؤثر من غير شك في شاعريته ،
ويجعله يُضَمَّن شعره خطرات علمية (باردة !) إذا كانت
ثقافته العميقة تلك ثقافة علمية ، أو خطرات فلسفية (حارة !)
إذا كان ممن يدمنون النظر في آراء الفلاسفة وتخططاتهم ...
فإن كانت ثقافته لفظية ، من نوع ثقافة العجاج ورؤية وعقبة
وأبي العلاء ، ترك هذا في شعره ذلك المرض الأسلوبى المتقل
بجوشى الألفاظ وغريب التعابير ، مما يصرف القراء عنه ؛
ويزهده عشاق الشعر فيه ... وذكرنا حالات غير هذه ، وراحوا
بضربون لكل حالة منها أمثالا تجعل رأيهم وجيهاً ، وتكسبه
قوة خداعة ذات بريق

فهل ما ذهبوا إليه من ذلك كله حق ؟ وهل تطبيقاتهم
صحيحة ؟ لقد ذكرنا المتنبي والمعري فيمن ذكرنا من الشعراء
الذين أثلقت ثقافتهم شاعريتهم . فهل من الحق أن المتنبي
والمعري قد أثلقا شعرهما بما كانا يتعمدانه من تضمينه ألوان
الثقافات التي كانا يمتازان بها

لقد نشأ المتنبي في بيئة شيعية ، وتعلم في إحدى مدارس
الشيعة بالكوفة ، وكان لهذا السبب من أوسع الناس إلماً
بتاريخ الفرق الإسلامية وأحوالها ومعتقداتها . وذهب بعض
مؤرخي الأدب العربى ، ومنهم الأستاذ ماسينيون والدكتور
طه حسين ، إلى أن المتنبي لم يكن شيعياً خصب ، بل كان
قرمطياً ، وقرمطياً متطرفاً . وأن قرمطيته بدت في ألفاظه
وتعبيراته وأفكاره . ويحدثنا الدكتور طه عن ذلك حديثاً طلياً
في كتابه « مع المتنبي » . وكما بدا التشيع في شعره ، بدا
التصوف كذلك ، فهو يستعمل طرق الأداء عند التصوفة ،
وبأتى في شعره وأخيلته بكثير من أوهامهم ومعتقداتهم ، ويدح

ثقافة الشاعر

وأثرها في شعره

للأستاذ دريني خشبة

ظن بعض إخواننا الشعراء أننا قصدناهم بمقالنا الذى رجونا
شعراء الشباب فيه أن يعنوا بثقافتهم الخاصة حتى يستطيعوا أن
يحسنوا الاضطلاع بالنهضة التى نطمح أن تتم للشعر العربى الحديث
على أيديهم ... وإخواننا هؤلاء مخطئون ، لأنهم الآن فى
الذروة من ثقافتهم التى أوشكت أن تمهد لهم الزعامة فى الشعر
المعري الحديث ، وإن كانوا فى نظرنا مع ذلك لم يؤدوا لهذا
الشعر جزءاً واحداً من مائة جزء مما نصبو إليه ، حتى يكون لنا
شعر لا نخجل من المباهاة به وسط أنواع الشعر العالمى

وسخط بعض إخواننا من شعراء الشباب الآخرين ، وعدوا
الروح التى أملت علينا مقالنا نكوصاً عما أخذنا به أنفسنا من
الدفاع عن شعراء الشباب ، ونسوا أننا لم نك يوماً مكابرين حتى
نغمض أعيننا عما فى كثير من شعرهم من الطراوة والفجاجة
والضعف ... الشعر الذى لا يمكن أن يحدث نهضة طالما أن
أصحابه معجبون به ... يظنون أنه بلغ الدرجة القصوى من
الأناقة والتجويد ، وأوفى على الغاية من الذوق والحرارة والشاعرية
ورضى فريق ثالث متواضع فاقنى الكثير من الكتب التى
أشرنا إليها وأخذ يستوعب ما فيها ، ويصلح به شأنه ، وكان
فى اعترافهم بما لسناء فى بعضهم من قلة الاطلاع على أشعار
العرب فى مختلف المصور لون من عظمة النفس التى تفقر إليها
نهضتنا الأدبية التى نرجو أن تبلغ أوجها على أيديهم إن شاء الله
غير أن فريقاً رابعاً من أئبه شعرائنا - الشباب والشيوخ -
الذين جمتنا بهم صدفة من أسعد الصدف ، لم يوافقنا على ما ندعو
إليه من وجوب أن يكون الشاعر مثقفاً تلك الثقافة العميقة التى
لا تنبئ - فيما ذهبوا إليه - إلا للعلماء والفلاسفة والكتاب ...
وذلك ، أن تلك الثقافة العميقة ، فيما ذهبوا إليه أيضاً ، قد تجنى
على شاعرية الشاعر قديمه جات الأسلوب ، نأتى المبالغة ،

يخرج في النحو على سنن البصريين وفي الأنصاف (طبع أوروبا) تفصيل لكثير مما كان موضع خلاف بين المدرستين بصدد أشعار المتنبي ، وقد أجاد الأنباري مؤلف ذلك الكتاب القيم في توضيح ذلك إجابة تامة نافعة تبرى المتنبي مما أخذه عليه خصومه وما لا يزال خصومه في عصرنا الحديث يأخذونه عليه من مثل ذلك ، مما يتوهونه خطأ

وكما كان المتنبي خصوم من النحويين وفقهاء اللغة ، كذلك كان له خصوم كثيرون من المتكلمين ، فكان يداعبهم تارة ، ويداعب فقهاء المسلمين تارة أخرى . وقد عني الدكتور طه بهذه المداعبات في كتابه « مع المتنبي » عنابة كبيرة .. وكانت مداعباته تلك تثير بين أولئك وهؤلاء حرباً فكرية طريفة في الزمن الذي كانت تجري فيه ... فكيف نعدّها اليوم من المآخذ التي نحصىها على المتنبي ، ونعيب بها شعره ؟

وكان المتنبي - لتشيعة - أو لفرمطية - ولتقلبه في بلاد المسلمين من دون العراق الذي كانت غالبية أهله تفتن بأساليب المتنبي وتشغف بها ، لكثرة ما كان ينتشر فيها من الفرق وأصحاب الفلسفات الغالية ، يؤثر استعمال الرمز ، ولا سيما إذا كان ينشد في مجلس من السنين ، وهو في ذلك تلميذ للمقصوفة ، إلا أنه غدا أستاذهم . وبالأحرى أستاذ شعرائهم . وليس للمصوفية رمز ، أو إشارة ، لم يستخدمها المتنبي ، إلا ما ندر . والذي يدمن قراءة أشعار ابن الفارض يشعر من فوره بتأثر شيخ شعراء المتصوفة بأستاذ المتنبي ، ولا سيما في استعمال المذهب الرمزي ، وفي كثرة استخدام التصغير ...

ولست أدري ماذا يعاب من ذلك كله على المتنبي ، بوصفه شاعراً كان يعيش في ظروف خاصة ، وكان يخضع لمقومات بيئة خاصة

على أن الذي تورط فيه إخواننا مما ذهبوا إلى أنه من عيوب ثقافة المتنبي العميقة التي أتلفت شعره ، وخرجت به من جنة الشعر إلى جحيم الفلسفة ، تلك الحكمة التي تثرها في قصائده ، وكان فيها تلميذاً غير موفق لأرسطو

وذكروا أن الصاحب بن عباد ألف لفجر الدولة رسالة أحصى فيها للمتنبي ثلثمائة وسبعين بيتاً تجرى بحرى الأمثال ؛

أنتمهم مدحاً قد لا يسيغه المسلم الحق إلا موجهاً إلى الله سبحانه . ولم يبال المتنبي أن مدح الأوراجي^(١) الصوفي الذي كان له في مأساة الحلاج النصيب الأوفى ، وأن يمدحه بإحدى روايته التي مطلعها :
أمن ازديارك في الدجى الرقباء

إذ حيث كنت من الظلام ضياء
ولا يبال أن ييوج في كثير من قصائده بما لعله كان يؤمن به من الحلول والتناسخ ... ولست أدري ماذا يقدر ذلك في المتنبي العظيم كشاعر من شعراء الصف الأول بين شعراء العرب ؟ ماذا يعيب الشاعر أن يمتلي ذهنه بلون ما من ألوان الثقافة فيكون له صدى في شعره يصدر عنه عفواً وعن غير عمد ؟ قد يكون إخواننا الأعزاء على حق حين يلاحظون على المتنبي تعمده الإتيان في شعره بالغريب الحوشى من الألفاظ ، والغريب الشاذ من الجورج والصفات ... ولكن ما حيلة المتنبي في عصره الذي كان يزخر بملء اللغة وفقهائها وشيوخ النحو والصرف والبلاغة ؟ لقد كان أكثر هؤلاء العلماء الأعلام يناصبون المتنبي العداء ، وينفسون عليه سريته الأدبية التي لم يتمتع بها شاعر من قبل ، فكانوا يتعقبون شعره ، ويقفون له بالرصاد ، عسى أن يسقطوا له على غلطة ، أو أن يعدوا عليه زلة ، وكان المتنبي يعرف ذلك منهم ، فكان يعبث بهم ، ويقلو في هذا العبث ، وينصب لهم من عريته الفصحى نقاحاً تمسك بهم كما تمسك الشراك الثمالب

على أن أحداً من هؤلاء العلماء الأعلام لم يكن أرسخ في علوم العربية كعبد الله بن أبي الطيب . ففي (معاهد التنصيص) - ج ١ ص ١١ - « أن الشيخ أبا علي الفارسي قال (للمتنبي) يوماً : كم لنا من الجوع على وزن فعلى ؟ فقال المتنبي في الحال : حجلي وطرقي ، قال الشيخ أبو علي ، فطالمت في كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لذهنين الجمين ثالثاً فلم أجدها . وفي خزنة الأدب للبغدادي (ج ١ ص ٣٨٠) أن ابن العميد قرأ على المتنبي كتاباً من كتب اللغة

ولعل الذي كان يعيبه هؤلاء العلماء الأعلام على المتنبي لم يكن جميعه ، أو لم يكن شيء منه ، مما يعاب على سيد شعراء العربية غير مدافع .. فقد كان المتنبي كوفياً ، وكان لذلك

(١) هو أبو علي هرون بن عبد العزيز الأوراجي التصوف .

على هامش النهر :

٢ - في عالم القصة

كفاح طيبة ... لنجيب محفوظ

للأستاذ سيد قطب

حية في نفوسنا ، شاخصة في أذهاننا . ذلك هو كتاب المرحوم « عبد القادر حمزة » : « على هامش التاريخ المصري القديم » ففرحت به مثلما أفرح اليوم بكفاح طيبة ، ودعوت وزارة المعارف إلى أن تجعله في يد كل تلميذ وطالب ، بدل هذه الكتب الميقة التي في أيديهم . ولكن تغيير الكتب في وزارة المعارف أمر عسير ، لأن مصنفها هم مقررروها في أغلب الأحيان

و كنت أرى الطابع القومي واضحاً - بجانب الطابع الإنساني - في آداب كل أمة ، ولا سيما في الشعر والقصة - بينما أرى الطابع المصري باهتاً متوارياً في أعمالنا الفنية ، مع بلوغها درجة عالية تسلك بعضها بين أرقى الآداب العالمية

و كنت أعزو هذا اللون الباهت ، إلى أن مصر القديمة لا تعيش في نفوسنا ، ولا تحيا في تصوراتنا . إلى أننا متقطعون عن هذا الماضي العظيم لا نعرفه إلا ألفاظاً جوفاء ، ولا نتمثله صوراً ووشائج حية . إلى أننا نفقد من تاريخنا المجيد حقبة لا تقل عن خمسة آلاف سنة : من الفن والروح والمواطف والانفعالات . إلى أن بيننا وبين الآثار المصرية ، والفنون المصرية ، والحياة المصرية ، والأحداث المصرية ، هوة عميقة من الزمن واللغة ، ومن الإهمال والنسيان .

وطالبت بأن تنقل إلى اللغة العربية كل قطعة أدبية كشف عنها في مصر العريقة ، وإلى أن ترسم باللغة العربية صور الحياة المصرية بكل ما فيها من ظلال ، وإلى أن تعقد بين النشء وبين

أحاول أن أتحفظ في الثناء على هذه القصة ، فتعجبني حماسة قاهرة لها ، وفرح جارف بها هذا هو الحق ، أطلع به القارئ من أول سطر ، لأستعين بكشفه على رد جحاح هذه الحماسة ، والعودة إلى هدوء الناقد وانزاهة !!

ولهذه الحماسة قصة لا بأس من إشراك القارئ فيها :

تعد ظلمات سنوات وسنوات أقرأ ذلك التاريخ الميت الذي تعلمه في المدارس عن مصر في جميع عصورها ، والذي لا يعلمنا مرة واحدة أن مصر هذه هي الوطن الحى الذى يعاطفنا ونعاطفه ، ويحيا في نفوسنا وأخلاقنا بحوادثه وأشخاصه

وظللت أستمع إلى تلك الأناشيد الوطنية الجوفاء ، التي لا تثير في نفوسنا إلا حماسة سطحية كاذبة ، لأنها لا تنبع من صلة حقيقية بين مصر وبيننا ؛ وإن هي إلا عبارات ساخنة ؛ تخفى ما فيها من تزوير بالصخب والضجيج ولم أجد - إلا مرة واحدة - كتاباً عن مصر القديمة يعينها

لجاء الخاتمي وألف رسالته (الخاصية)^(١) في رد حكم المتنبي إلى أصولها من فلسفة أرسطو ... والرد على زعم السرقة هنا حين لا يكاف الإنسان عناء ، وهي لو صحت لما نهضت برهاناً على الذى ذهبوا إليه من تشويهها لشعر المتنبي ؛ فما لا مشاحة فيه أن حكم المتنبي هي لآلء غالية يزهى بها شعره ، ويتفرد بها ، لا بين شعراء العربية فحسب ، بل بين شعراء العالم كله ... وليس معنى ذلك أننا استوعبنا أشعار الأمم كلها ... ولكننا نقول ذلك بعد أن قرأنا معظم ما ألف عن تاريخ آداب العالم ؛ فلم نعثر بشاعر يضارع المتنبي أو ينافسه في ميزته تلك . على أنك تقرأ الحكمة من الحكم التي ينسبونها إلى أرسطو ، والتي لا ندرى المصدر

الذى استندوا إليه في نسبتها إليه ، ثم تقرأ بيت المتنبي الذى يحمل هذه الحكمة . فتشعر من فورك بالبون الشاسع بين أداء المتنبي وأداء أرسطو ، وبين تفكير هذا وتفكير ذاك

أى فرق شاسع بين قول أرسطو : قد يفسد العضو لصالح أعضائه ، كالسكى والفض الذى يفسدان الأعضاء لصالح غيرها وقول المتنبي :

أمل عتبك محمود عواقبه فربما صحت الأجسام بالعلل ومثل ذلك الفرق نلمسه في العشرين والمائة حكمة التي تناولها الخاتمي في رسالته ...

ذلك ما اتسع له المجال في الدفاع عن المتنبي ... أما الدفاع عن المرمى فوضعه غير هذا الحديث .

العظيم . قصة الوطنية المصرية في حقيقتها بلا تزيد ولا ادعاء ، وبلا برقشة أو تصنع . قصة النفس المصرية السميمة في كل خطرة وكل حركة وكل انفعال .

أغار الرعاة « الهكسوس » على مصر من الشمال الشرق وغلبوا عليها بسبب اختراع « العجلات الحربية » التي لم تكن مصر قد أخذت بها في جيشها ، وحكموا مصر السفلى ومصر الوسطى . أما مصر العليا وعاصمتها طيبة ، فقد ظل حكمها من الأسرة الفرعونية المصرية ، يدارون الرعاة ويقدمون إليهم الهدايا احتفاظاً باستقلالهم الداخلي إلى أن يستطيحوا الاستعداد السرى لطرد الغزاة .

ثم تبدأ القصة عند « سيكنرع » حاكم طيبة وورث العرش الشرعى . فلقد لبث يهيئ الجيوش سراً ، ويستكثر من العجلات الحربية حتى بلغ جيشه عشرين ألفاً وعجلاته مائتين ؛ ووضع على رأسه التاج ، ولم يكن يمدد نفسه حاكم طيبة بل ملك الجنوب وبجيته رسول (أبو فيس) ملك الرعاة الذى يلقب نفسه (فرعون مصر) ويضع على رأسه التاج المزودج ؛ يجهز ليتجدها فيطلب إليه خلع التاج ، فاهو إلا حاكم ، وبناء معبد لست إليه الشر بجوار معبد أمون في طيبة ، وقتل أفراس النهر المقدسة بها . فيأبى الملك أن بدوس الدين والشرف ليقنع بالسلامة . وإنه ليعلم مدى قوة خصمه ويعلم أنه لم يستكمل بعد استعدادده . ولكنه يرفض يؤيده الجميع : أمه توتشيري (الأم المقدسة) التي ترى الجميع ، وتشرف بروحها العظيم على كل عدة الجهاد ؛ وابنه ، وقائده ، ورئيس كهنة أمون ، ومستشاروه أجمعين .

وتقع الحرب ، ويقتل الملك البطل ، وتستباح طيبة للعدو العنيف ؛ فتصعد الأميرة المالكة في النيل إلى « بلاد النوبة » بتدبير قائد الملك القليل ، لتمد العدة هناك للعودة حينما يشاء الإله !

وبعد عشرة أعوام في الاستعداد وبناء العجلات الحربية ، يهبط « أحس » حفيد الملك « سيكنرع » ، وابن الملك « كاموس » إلى أرض مصر في زى التجار ، يقدم لحكامها

الآثار المصرية سلة وثيقة في كل أدوار نشأتهم ؛ وإلى أن تنفت الحياة في تلك الآثار والتماثيل والتواريخ ، بما يصاغ حولها من القصص والأساطير والملاحم والبيانات .

دعوت إلى أن تصبح حياة أحس وتحمس ورمسيس ونفرتيتي وأمثالهم في منال كل تلميذ صغير وكل طالب كبير ، بل أن تعود أساطير حية للأطفال في المهد ، يدل الشاطر حسن وجوده ، وحسن البصرى ، والورد في الأحكام

قلت : إذا كانت مصر القديمة قد احتجبت عنا ، لأننا أصبحنا نتحدث اليوم بلغة غير لغتها ، فلننقلها هي إلى لغتنا الحديثة ، لنضم إلى ثروتنا الفنية المحدودة بألف وخمسمائة عام (فترة الأدب العربى الذى ندرسه) ثروة أعظم منها وأعرق وأخصب في فترة أخرى طويلة تربو على الخمسة الآلاف من الأعوام . فإنه من السفه أن نفرط في هذه الأعمار الطوال !

وكنت أعلم أن الفصاة والملاحمة ، هما خير الوسائل إلى تحقيق هذه الصلة التي نشدها طويلاً ، ركبت عنها طويلاً . فكنتاهما تزدان الحياة إلى ذلك الماضى ، وتبعثانه في الضمائر من خلال الألفاظ ، وتوقظان الوراثة السكاملة في دمائنا من هذا العهد المجيد ، وتصلاننا بحياة أجدادنا على أرض هذا الوادى العريق . فتصبح روافد لنفوس كل جيل ، حوافر لشاعر كل فرد

ولا يعود الغابرون في مسارب الزمن جنباً هامدة مسجاة في الأكفان مطمودة في الرمال . إنما يعودون ذواتاً حية ، وشخصاً قائمة ، يشاركوننا هذه الحياة الحاضرة ويبدرون معنا أصرها ، ويزودوننا بتجاربهم ونصائحهم ، ويفيضون علينا مشاعرهم وعواطفهم — فيحس الفرد منا أنه فرع حديث لشجرة عريقة عميقة الجذور في الزمن تهتد فجر التاريخ ، ودعت حديث الأجيال ، وصمدت لأقصى عوامل الفناء .

قلت هذا كله في عشرات المقالات ، واليوم أنلقت فأجد بين يدي القصة والملاحمة ، كتابها في عمل فنى واحد . في « كفاح طيبة » . فهي قصة بنسقتها وحوادثها ، وهي ملحمة — وإن لم تكن شعراً ولا أسطورة ! — بما تفيضه من وجدانات ومشاعر ، لا يفيضها في الشعر إلا الملاحمة ! هي قصة استقلال مصر بعد استعمار الرعاة على يد « أحس »

الرعاة الذهب ليحصل على الرجال . الرجال الذين ذاقوا الذل والويل ، ولكن نفوسهم ما تزال تنفلى بالانتقام من الغزاة ، وتفويض بالولاء للأسرة المالكة المشردة

وتتم الحيلة ، وتفتح له الحدود فيحصل على الرجال ، ويتألف الجيش العتيق ، ويهبط أرض الوادى ، ويهزم الغزاة ويطاردهم إلى آخر شبر من الأرض المصرية فى هوارثس ، وتسترد طيبة عرشها وعرش مصر السفلى ، وتعود البلاد حرة من جديد . على يد أحسن بعد استشهاد والده ، كما استشهد من قبل جده العظيم ...

ولكن !

نعم . ولكن . لقد كسب مصر وخسر قلبه ! وإنه لكسب ضخم ، وإنها لخسارة فادحة

لقد أحب ابنة ملك الرعاة . أحبها منذ الرحلة الأولى ، يوم قدم مصر فى زى التجار . أحبها وأحبته واختارت يومها عقداً من مجوهراته التى يحملها ، وأنقذت حياته حين هم به قائد حربى من المكسوس كان يريد الاعتداء على حرمة سيدة مصرية — هى أرملة قائد جده — فلماها من الأذى ، لأن حمايته لم تنطق أن تنتهك حرمة مصرية أمامه ، وقد كاد ذلك يفسد عليه خطته العظيمة ...

أحبها وأحبته ، وأخفى كلاهما حبه ، ولكنه ظهر فى بعض التلميحات . فتمتدت القصة منذ ذلك اليوم . لقد كان أحسن يتهمها المهمة الكبرى التى ألغاها الوطن على كاهله ، ليطرد الرعاة الغزاة ، ويشكل بهم كما نكأوا بالمصريين . وهو يحب ابنة عدوه الأكبر ، لأن القلب الإنسانى يتسع للحب والبغض مجتمعين . وفى كل خطوة يسطدم هذا الحب بهذا البغض ، فيدوس قلبه الجريح ، إيؤدى واجبه المقدس . وإن كان يضعف بين الحين والحين !

وروقت الأميرة فى الأسر . أسرها « الفلاحون » الذين اتخذ ملك الرعاة من نسائهم وأطفالهم درعاً لحصون طيبة ، يتقى بهم سهام قومهم المهاجرين . وفى لحظة رهيبية بعد أن ضحى المصريون بنسائهم وأطفالهم ، وأردوهم بسهامهم ليدخلوا طيبة . فى لحظة بلغ الألم الإنسانى ذروته ، جاءوا للملك بهذه الأميرة

أسيرة ، ونسأؤهم وأطفالهم ممزقون بسهامهم على الأسوار . وكان احتفاظهم بها وعدم عزيقها إرباكاً فوق طاقة الآدميين !

وكان موقعاً من المواقف الكثيرة التى عاها الملك الشاب بين قلبه وواجبه . لقد استطاع أن يدوس قلبه فى سبيل الفرض الأكبر — تحرير الوطن — أما حين يكون الأمر انتقام جزئى فهنا يغلب الحب ، فيحفظ حياة الأميرة !

وفى اللحظة الأخيرة — وقد تمت هزيمة الرعاة — يحاول الملك الشاب أن يستأثر بالأسيرة الأميرة . ولكن وأسفاه : إن أباهما يقوّمها بثلاثين ألفاً من الرهائن المصريين . وإن الملك ليحبها ، ولكن ثلاثين ألف رأس ثمن كبير . وإنها لتحبه ، ولكنها تعلم أن أباهما الصجراوى لن يجيبه إلى يدها ، وهو عدوه المبين . لقد ذهبت ليبقى الفرعون الظافر يذكرها فى بأس وحنين . ويحس أنه خسر المعركة وهو أعظم المنتصرين

ذلك هيكل الفصة . ولكن الفصص ليست هيكلها العام .

فأين العمل الفنى فيها ؟

إن العمل الفنى هو الذى لا يمكن تلخيصه . وقيمه فى هذه القصة لا تقل عن قيمتها القومية . وهذا هو المهم . فقد يحاول الكاتب إثارة المواقف القومية وينجح ، ولكنه ينسى السمات الفنية ، فيحرم عمله الطابع الذى يسلكه فى سجل الفنون

إن كل شخصية من الشخصيات فى هذه القصة لهى شخصية إنسانية وشخصية مصرية فى آن . وإن كل موقف من مواقفها لهو الموقف الطبقي الذى ينتظر من الآدميين المصريين . وإن السياق الفنى لهو السياق الذى يلحظ الدقة الفنية بجانب الهدف القومى ، بلا مقابلة ولا سجة ولا برق . لم يحاول المؤلف أن يقلل من شجاعة الرعاة ، ولا يميزاتهم النفسية . ولم يحاول كذلك أن يستر مواطن الضعف المصرية — وهى مواطن ضعف إنسانية — لم يجعل أبطال مصر أشخاصاً أسطوريين ، ولم يجعل المصريين شعباً من الملائكة ولا من الشياطين . ومرة واحدة أو مرتين جاوز بهم طاقة البشر ، ولكن بعد تهينة وتهويد

لهذا كله تسير الحياة سيرة طبيعية فى القصة ، وتنمى

ومثل أن يقول عن اسم « أحس » إنه مشتق من الحماسة .
فأحس اسم مصرى قديم لا علاقة له بمعناه في اللغة العربية ،
ولعله وجد قبل أن يكون لهذه اللغة وجود معروف .
ومثل أن يقول أحس : « إنه آت من بلاد النوبة » فهذا
اسم حديث كذلك . وقد كانت في ذلك الحين تسمى بلاد
« بنت » أى الذهب ..

ومثل أن يقدر مدة حكم الرعاة بمائتى عام . والراجح أنها
تصل إلى حوالى خمسمائة عام
وبعض هنات كهذه وتلك . ولكن ماذا ؟ إن الفنان
ليستطيع أن يخطئ مائة مرة مثل هذا الخطأ ، دون أن يؤثر
ذلك في عمله الفنى الأسيل

قصة (كفاح طيبة) هى قصة الوطنية المصرية ، وقصة
النفس المصرية ، تنبع من صميم قلب مصرى ، يدرك بالفطرة
حقيقة عواطف المصريين - ونحن لا نطمع أن يحس (المتمصرون)
حقيقة هذا المواطن ، وهم عنها محجربون

ولقد قرأتها وأنا أقف بين الحين والحين لأقول : نعم هؤلاء هم
المصريون . إننى أعرفهم هكذا بكل تأكيد هؤلاء هم قد
يخضعون للضغط السياسى والنهب الاقتصادى ، ولكنهم يحبون
حين يمتدى عليهم معتد فى الأسرة أو الدين . هؤلاء هم يخدمون
حتى ليظن بهم الموت ، ثم يشورون فيتجاوزون فى ثورتهم
الحدود ، ويحيثون بالمعجزات التى لم تكن تفخيل منهم قبل
حين . هؤلاء هم يتفككون فى أقصى ساعات الشدة ويتندرون .
هؤلاء هم تفيض نفوسهم بحب الأرض وحب الأهل ، فلا يرتحلون
عنهما إلا لأمر عظيم ، فإذا عادوا إليهما عادوا مشوقين جيداً
مشوقين هؤلاء هم أبداً فى انتظار الزعيم ، فإذا ما ظهر الزعيم
ساروا وراءه إلى الموت راغبين

هؤلاء هم المصريون الخالدون ، هؤلاء هم ثقة وعن يقين
لو كان لى من الأمر شيء لجمعت هذه القصة فى يد كل
فتى وكل فتاة ، واطمعتها ووزعتها على كل بيت بالجان ، ولأقت
لصاحبها - الذى لا أعرفه - حفلة من حفلات التكريم التى
لا عداد لها فى مصر ، المستحقين وغير المستحقين !

سبح قطب

المشاهد شاحصة . لشد ما شمرت بالحق الملتب على الرعاة
وحكامهم وقضاةهم ، وهم يجلدون المصريين ويحرقونهم ويدعونهم
استهزاء الفلاحين (ويبدو أن هذا اللقب هو الذى يتشدد به
دائماً أولئك الأجانب المنقسمون فى جميع العصور ، من الرعاة
إلى الرومان إلى العرب إلى الترك إلى الأوربيين . وإن كان
هؤلاء الفلاحون أشرف وأعرق من الجميع) ، لشد ما شمرت
بالقلق واللفة على مصير الجيش المصرى فى عده القليل أمام
أعدائه المتفوقين . لشد ما خفق قلبى وأحس المتخفى فى زى
التجار ، يلقى الملك ، ويصارع القائد ، وينفض للعزة الجريحة ،
ويحسك نفسه فى جهد شديد . لشد ما عطفت عليه وهو يقع فى
صراع أشد وأعنف من كل صراع حربى ، ويجهاد نفسه بين
قلبه وراجه ، فيؤدى الواجب على حساب قلبه الجريح

ولم يكن الشعور القوي وحده هو الذى يصل نبضاتى
بنبضات أبطال القصة . بل كان الطابع الإنسانى الذى يطبعها ،
والتنسيق الفنى الذى يشيع فيها ، هما كذلك من بواعث
إحساسى بصحة ما يجرى فى القصة ، وكأنه يجرى فى الواقع
المشهود ، بكل ما فى الواقع من عقد فنية ، وعقد نفسية ، ينسجها
المؤلف فى مواضعها بريشة متمكنة ، ويد ثابتة ، تبدو عليها
الرانة ، والثقة بمواقع التصوير والتلوين

ولا أحب أن يفهم أحد من هذا أن مؤلف « كفاح طيبة »
قد بلغ القمة الفنية . فهذا شيء آخر لم يهياً بعد . إنما أنا أنظر
إلى المسألة من ناحية خاصة . ناحية تحقيق هدف قوى جدير
بمشرات القصص والملاحم . فإذا استطاع فنان أن يحقق هذا
الهدف ، دون المساس بالطابع الإنسانى والطابع الفنى ، وبلا تزوير
فى المواقف والمواطن ، أو تزوير فى وقائع التاريخ ، فذلك
توفيق يشاد به بكل تأكيد . وفى هذه الحدود أحب أن يعنى
هذا المقال

وبهذه المناسبة أشير إلى بعض الأخطاء البسيطة مثل قول
الملك « سيكتنزع » : « لم تكن المعجلات من آلات الحرب
لدى الرعاة . فكيف يكون لجيشهم أضعاف ما لجيشنا منها ؟ »
فالناتبات تاريخياً أن « معجلات الحرب » كانت سلاح الرعاة الجديد
الذى هاجوا به مصر ، فغلبوا به على شجاعة المصريين ، حتى
أخذهم المصريون منهم فانتصروا به وبذوهم فيه

اللغة القانونية

في الاقطار العربية

ووجوب تعميمها وتوحيدها

للأستاذ عدنان الخطيب

دمشق

عقد في شهر أغسطس الماضي أول مؤتمر لخامس البلاد العربية في مدينة دمشق حاضر فيه علماء حقوقيون من كل قطر في مواد معينة من القانون ، وكان الأستاذ عدنان الخطيب المحامي من حاسروا في مادة « المصطلحات القانونية » فكانت محاضراته إعجاب المؤتمرين ورجال الحكومات ، وقد خص الرسالة بنشر محاضراته قبل نشرها في (كتاب المؤتمر) المقرر إصداره قريباً .

١ - اللغة والعربية

لا ريب في أن اللغة تعتبر من مقومات الأمم في العصر الحاضر ، لا بل إنها أهم تلك المقومات التي تميز الأمم والشعوب بعضها من بعض ، وهي الركن الأساسي فيما يعرف « بالوعي القوي » لأنها وسيلة التفاهم والتفارب ، ولأنها أهم رابطة تصل الحاضر بالماضي ، إذا كان ثمة تاريخ يرغب في الاحتفاظ به ، ولهذا ترى كل أمة ذات تاريخ مجيد ، تعمل دائماً على الاحتفاظ بلفتها ، وإن باعدت الأرض أو السياسة بين أبنائها ، لأن وحدة اللغة أول دليل على حيوية تلك الأمة ولياقتها للبقاء على وجه الأرض كأمة واحدة محترمة .

٢ - اللغة العربية وتغيرها الخالدة

إن الأمة العربية التي حملت إلى العالم في ماضيها اللامع ، أخلد رسالة ، رسالة الهداية والعلم والعز ، أولى الأمم في وصل ما انقطع من تاريخها والعمل على إعادة ذاك الجذ الفار ، وإذا كانت لغتها حية خالدة بفضل من الله ، فإن تبعة أبنائها في المحافظة على سلامة لغتهم واستقامة لسانهم تبعة عظيمة توجب على كل عربي أن يقوم بنسب من ذلك بتفق وحلود طاقته ومركزه الاجتماعي .

٣ - مزايا اللغة العربية في الناحية القانونية

إذا كانت لهذا المؤتمر العربي « المؤتمر الأول للمحاميين العرب »

أهداف قومية كثيرة ، فلا شك في أن سلامة اللغة القانونية ، والعمل على توحيدها هما في أول تلك الأهداف الحليمة ويجدر بالمؤتمرين أن يقرروا ، قبل كل شيء بأن اللغة العربية في أول اللغات الحية صلاحية لأن تكون « لغة قانون محكمة » لأنها تتمتع بمزايا عظيمة ، يندر أن تمتع لغة غيرها بمثلها ، وأهم هذه المزايا من « الناحية القانونية » : السعة والدقة ، وهاتان الميزتان لا يشك فيهما مطلع على كتب فقه الشريعة من جهة ، وفقه اللغة من جهة أخرى .

٤ - اللغة « القانونية » في البهادر العربية

ظلت اللغة العربية ، لغة التشريع والقضاء والفقه ، إلى أن دالت دولة العرب ، فأخذت اللغات الأجنبية تنسرب إلى الإدارة والسياسة ، وما أن قامت دول المحاربين الأعاجم ، حتى أصبحت لغتهم لغة القضاء ، بينما ظلت لغة الفقه عربية مستمدة من أم التشريع الإسلامي العربي البين ، فلما أحبت الدولة العثمانية أن تقتدي بأوروبا في التشريع والتقنين ، أخذت تترجم القوانين التركية إلى اللغة التركية ، لغة الدولة الرسمية ولغة القضاء فيها ، ففقد القانون في البلاد العربية قانوناً أجنبياً كتب بلغة أجنبية ، ويحكم به في الغالب قاض غير عربي ، وقد أحدث هذا التيار نقمها قانونياً جديداً في البلاد العثمانية أخذ عن أوروبا باللغة التركية ، وبه انقطعت الصلة بين فقه القانون وفقه الشريعة العربي ، إلا من ناحية الأحوال الشخصية وبعض النواحي المدنية الأخرى ثم أخذ المشتغلون بالقانون من أبناء العرب بنقل القوانين الجديدة إلى اللغة العربية ، فلم يوفق بعضهم في ذلك ، فتداول الناس القوانين العثمانية بلغة عربية ، ولكنها لغة هزيلة ، شاعت فيها الرككة وامتثلت بالتعابير الضعيفة^(١) ، وأدخلت على العربية ألقاظاً أعجمية كثيرة ، ما زالت تعيش إلى يومنا هذا في بعض الأقطار العربية

٥ - أثر الوضع الدولي الجديد في اللغة القانونية

عندما أنهار الحكم العثماني أخذت الأقطار العربية وضماً

(١) راجع معارضتي في المجمع العلمي العربي عن : قوانيننا وضرورة البحث التشريعي (دمشق ١٩٤٢) ، وانظر مقالتي عن (القوانين التي ما زالت تحكمنا) ، كيف ترجمها العثمانيون وكيف مرتبها (مجلة الصباح عدد ١١٢ دمشق أيار ١٩٤٤)

هذا ما قرره المؤتمر الدولي للقانون المقارن مما يندرج باشتراك الأقطار العربية كلها في المؤتمرات القادمة التي ستعقد بعد أن تضع الحرب أوزارها ، ولا شك في أن اللغة العربية ستكون يومئذ اللغة الرسمية لممثلي تلك الأقطار ؛ فهل يليق بهذه اللغة أن يختلف أولئك الممثلون في كثير أو قليل على ألفاظ أو كلمات أو جل لها دلالات قانونية واحدة ؟ قد يكون بعض الاختلاف ناجماً عن كثرة المرادفات في العربية ، ولكن هذا إذا كان مما يفخر به أحياناً فإنه عيب في لغة القانون ، وإذا كان استمهال المترادفات في النصوص التشريعية وما يتصل بها غير مستحب ولو لم يؤد إلى شيء من الاضطراب فيها ، فكيف إذا أدى إليه ؟ لا في مؤتمر دولي يضم كبار علماء القانون المقارن ، بل بين أفراد الأسرة الواحدة إذا ما اجتمعوا أو تبادلوا نقابهم الفكري ؟ إن التباين الموجود في لغتنا القانونية ومصطلحاتنا الحقوقية ، نحن أبناء الأسرة الواحدة يجب أن يبدأ بالزوال منذ اليوم ، وكلنا أمل بأن لا نرى بعد أمد قريب أي اختلاف يتصل باللغة بين رجال القانون المصريين واللبنانيين والعراقيين والفلسطينيين والأردنيين والسوريين

٧ - أمثلة التباين والمخلاف

إنى لا أود جمع كل التباين الموجود في اللغة التشريعية أو الفقهية أو في تعريب المصطلحات الحقوقية بين مختلف الأقطار الناطقة بالضاد ، لأن لهذا مقاماً غير هذا المقام ، وسأكتفى تصويراً للواقع الملموس بإيراد الأمثلة البارزة التالية :

١ - الدستور في مصر وسورية ولبنان هو القانون الأساسي في العراق ، والهيئة التشريعية في مصر هي البرلمان المصري ، بينما هي في العراق مجلس الأمة العراقي ، ومجلس الشيوخ المصري يقابله مجلس الأعيان في العراق

إن هذا التباين في الأسماء لمسميات تكاد تكون واحدة ، يبدو لأول وهلة لا قيمة له ، والحقيقة أنه إذا ما أضيف إليه الاختلاف العظيم في مسميات أخرى ، عجيب بين دول تتكلم بلغة واحدة

دولياً جديداً ، جعل منها دويلات وإمارات متعددة ، يخضع كل منها إلى نفوذ أجنبي معين ، وكان مركز كل قطر منها كدولة مستقلة . يختلف باختلاف ظروفه الخاصة ، ونوع النفوذ الأجنبي المفروض عليه ومقداره ، وبذلك اختلفت لغة « القانون » باختلاف المشرعين في كل قطر ، وانعدام الصلة بين الفقهاء والمربين في مختلف الأقطار ؛ فتعددت بينهم المصطلحات الحقوقية ، وتباينت الألفاظ الدالة على معان واحدة مما يطمح لغتنا المحبوبة في صميمها ، وينافي الفكرة القومية ، ويقف عثرة في سبيل تحقيق الآمال المنشودة والغالب المشتركة

٦ - اللغة العربية لغة دولية في القانون المقارن

في آخر مؤتمر دولي للقانون المقارن عقد في « لاهاي » قبل أن تندلع نيران هذه الحرب دعى الجامع الأزهر للاشتراك به ؛ فقام الأزهر بإرسال بعثة من كبار الفقهاء ورجال القانون المصريين^(١) أحسنوا تمثيل مصر ومن رؤسها العالمان الإسلامي والعربي تمثيلاً جعل المؤتمر الدولي يجمع على اعتماد القرار الآتي :

« يقرر قسم القوانين الشرقية في الوقت الذي يختم فيه أعماله أن المسائل التي طرحت للبحث في الشريعة الإسلامية كانت من الأهمية بمكان ، ويقدر قيمة وفائدة التقارير التي قدمت فيها ، والملاحظات التي أبدت بشأنها ، كما يقدر أهمية عدد المؤتمرات الذين اشتركوا في المناقشات ، وأهمية هذه المناقشات الراجعة إلى صفات الممثلين ومؤهلاتهم ، ونظراً لأن اللغة العربية قد استعملت لأول مرة في تبادل الآراء ،

لهذا يلفت القسم نظر الجمع الدولي للقانون المقارن إلى ضرورة فتح مكان أوسع للشريعة الإسلامية في برامج المؤتمرات القادمة ، كما أنه يبدي رغبته في أن يدعى المؤتمر القادم ممثلون من جميع البلاد التي تهتم بالدراسات الإسلامية ، كما يبدي الرغبة أيضاً في أن تستمر اللغة العربية في المؤتمرات القادمة ضمن اللغات المستعملة لمناقشة المسائل المتعلقة بالشريعة الإسلامية »^(٢)

(١) م الأساتذة المحترمون : عبد الرحمن حسن ، ومحمود شلتون ، ومحمد عبد النعم رياض ، وحسن أحمد البغدادي .

(٢) عن تقرير الوفد إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

٣ - إذا كانت مهمة رأس الدولة الأعلى في سن التشريع تختلف باختلاف نظم الحكم والدساتير ، فإن عمليتي الإصدار والنشر بفهميهما الفقهي الحديث ، تتشابهان كثيراً في النظم السياسية المقارنة ، ومع هذا فإننا نجد سمة نشر القوانين في الأقطار العربية ، تختلف اختلافاً واضحاً مبعثه ليس فقط اختلاف نظم الحكم فيها ، بل الاختلاف على معاني الألفاظ وترتيبها وهذه هي سمات النشر في الأقطار المختلفة

وفي العراق من مكتبة الزوراء بسوق السراي ببغداد

المعدة

كفيرة مع الإفراغات الداخلية
للدكتور حيدر السمان

الاثني عشرى في بعض حوادث سرطانات المعدة لاعتقادهم بأن إفرازات البانكرامسي والماء الرقيقة وخاصة إفرازات المصو الأخير كافية لسد النقص الناجم عن فقدان المعدة فقداناً تاماً أو قسمياً فتؤثر على المواد الغذائية وتجعلها بحالة ملائمة للامتصاص .

ولكن ظهر للعالم Castle خطئ هذا الرأي إذ توصل بتجرباته التي قام بها إلى أن المعدة ليست موضعاً لحفظ الأطعمة فقط حتى يمكن لفن الجراحة أن يستأصل قمماً منها أو يزيلها بجملة دون أى عارض ما ، بل إن لها إفراغاً داخلياً مستقلاً تمام الاستقلال عن عصارتها الخارجية كالبانكرامسي .

إن الهرمون المضاد لفقر الدم Hormone anti-anémique أو : Hematopoietine هو الإفراغ الداخلي للمعدة الذى يؤثر على خاصة السكبد المولدة للدم فيزيد في عدد السكريات الحمراء ازياداً كبيراً ، فقد وجدوا نقصاً ظاهراً في عصارة المعدة الحامضية عند من كانوا على عتبة الإصابة بفقر الدم .

أقـد بيـن Castle أن عصارة المعدة عند الأشخاص الاعتياديين تكتسب عقب أكل اللحم قوة فعالة ضد فقر الدم تفوق بفائدتها فائدة تناول (خلاصات السكبد) Extraits de foie ، في ناحية السكبد يظهر التأثير الفعال لهذه العصارة الداخلية ، وإن أية آفة تصيب المعدة تؤثر تأثيراً سيئاً في السكبد وتكون سيئاً إذا طال أمدها للإصابة بفقر الدم ، إذ لوحظت حوادث فقر دم خبيثة عقب عمليات بتر المعدة Gastrectomies الكاملة أو القسمية وعلى هذا الأساس فقد دخلت المعدة في مداواة فقر الدم

وقد بذلت جهود جبارة لمعرفة ناحية الغشاء المخاطى المعدى الذى يتصف بهذه الخاصية الغريزية إذ أن على هذا التحديد تتوقف نتائج عمليات المعدة ، وقد نجحوا في تحديد ذلك المكان وتبين لهم أن الغشاء المخاطى الموجود في جوار البواب Pylor له هذه الخاصية الحيوية الهامة

وقد طبقت هذه النظرية في مداواة فقر الدم الناجم عن

لقد جلت الدراسات التي قام بها العلماء في مستهل القرن الأخير أهمية الغدد الصماء Glandes endocrines وبيئت تأثير مفرغاتها الداخلية على تنظيم وظائف الأعضاء وعلى التوازن المتقابل الموجود بينها كما أنهم ذكروا الأمراض التي تنجم عن فرط أو نقص هذه المفرغات والأدوية الغدية الحديثة التي كانت عجيبة بنتائجها .

فقد ظهر أن لهذه الغدد إفراغات داخلية تصب رأساً في الدم تدعى (هرمونات Hormones) لها تأثير منشط لوظائف حجرات الأعضاء ، وقد قسمت هذه الغدد بالنسبة لإفراغاتها هذه إلى قسمين :

القسم الأول : لها إفراغات داخلية فقط مثل : الغدة النخامية Hypophyse ثم الغدة الدرقية Thyroide ، ثم غدة المحفظة فوق الكلى (الكظر Capsule Surrénale) ، والقسم الثانى : لها إفراغان داخلى وخارجى ، مثل السكبد : Foie والمبيض Ovaire والخصية Sesticale البانكرامسي Pancréas ولن أنعرض في بحثي لهذه الغدد لأن أمرها معروف لدى الجميع ولكنى ذكرتها بالنسبة للعلاقة الصميمية التي تربطها بمغالى . إن الاكتشافات الحديثة قد أضافت لهذه الغدد الصماء عضواً آخر لم نكن ندرى بأن له هذه الأهمية الغريزية قبل اليوم ، فقد ظهر أن المعدة إفراغاً داخلياً مستقلاً تمام الاستقلال عن إفراغها الخارجى

لقد كانوا يعتقدون إلى عهد قريب أن لا ضير من الاستغناء عن المعدة استغناء تاماً . ولذلك فإنهم يشيدون بمنافع عمليات المعدة التي توصلوا بواسطتها لبرر المعدة وتعيم الرى مع

عن وصي الرحمة !!

١ — مَصْرَعُ الْجَمَالِ !!

[حلت إلينا أنباء الحجاز نشيرة : أن الأمان في ميدان
« نورماندى » يستعدون في قنطرة خمس كنائس من الجنس
اللطيف ! وقد نحم عن هذا العمل الوحشي أن ذهب كثير
من هؤلاء البيض الحسان جزر السلاح الأبيض ! وهل
في الحرب يا أم أرحمى ! فوا حسرتنا ! ويا حر قلبنا !

رحمًا للحسان يستنّ وقودًا للجحيم ، وقودها الأبرياء
كم قدودها لها اهتزاز الموالى هصرتها المنيئة الهوجاء
وعيون ، من زُرقة البحر أصنّ

سَلَبَتُهَا مَسَامَهَا الهيجاء
وخدود في صحنها الجمر والماء ، خباجرها ، وغاض الماء
ونفور ، كانت مناهيل راح حكمت في رحيقها الأقداء
وشعور كالشبر تؤدّم بالمسك (م) هي اليوم والخلق (١) سواء
وصدور غذى ترائبها الحسن (م) وروّت تحمارها النشواء
نهارات من أديمها الأبيض البيض (م) وعانت منه الرماح الظلام

كيف ذلّ الجمال أو هوله العزة (م) - بعد الإله - والكبرياء ؟
يا حمة الوغى ، أما للغواني بينكم - تحت نفعها - رُحما
حرمت شرعة البطولة أن تقتل (م) - في حومة الجلال - النساء
دونكم ساحة الهوى وأنا الضا من أن تصرع الأسود الظباء

٢ — الأرض الدنسة

انظر الأرض علّ فيها بقاعاً لم يدنس أديمها بالجرائم
كل صقع بها جحيم تلظى بضطلي حرّها البرىء المسالم
شقي الناس بالعقول وراحت ناعمات - بفقدن - البهائم
بت في رية : أذاك هوأ - ينشق الناس - أم غبار الملاحم
زعماء الشعوب قادوا إلى النا ر شعوباً وراءهم كالسوائم
كل إبليس عنه يأخذ (إبليس) (م) فنون الأذى ، وهتك المحارم
هذه الأرض للشقاء فلا تفرع (م) - على قات بها - سين نادم

على الجذم

(١) الحلاق بكسر الحاء : جمع حليق : ما يخلق من شر الذر

الأنزفة الدموية الغزيرة وفي مداواة فقر الدم التالى لآفات :
السل ، الملاريا ، التهابات السكاكية ، التسمات ، وفي حالات
الضعف العام الناجم عن البؤس والفاقة ، حسب طريقة
Castle الخاصة وذلك بأن ندخل لمعدة المريض بواسطة أنبوب
من المطاط عصارة معدة شخص سليم عقب إطعامه (٣٠٠) غرام
من لحم البقر بساعة واحدة ، ولكن بالنظر لصعوبة تطبيق
هذه الطريقة في فن الممارسة ، فقد استعويض عنها بطرق أخرى
أسهل تناولاً ، ولكنها أقل تأثيراً ، فمنهم من أعطى معدة بعض
الحيوانات الغضة ، ومنهم من أعطى مسحوقها المجفف بمقدار
(٣٠) غراماً مقسمة على ثلاث مرات ممزوجة مع عصير البرتقال
أو أى عصير كان قبل الطعام

وقد استحدثت بعض المستحضرات الطبيعية السائلة مثل
Gastrhéma وكانت نتائجها جيدة جداً

إن هذا الاكتشاف الخطير سيقرب جراحة المعدة رأساً على
عقب ، وستود بلا شك عمليات (التفاغم المعدى المعوى
Gastro-enterostomie) إلى سابق مجدها بعد أن أهملت زمناً
ليس باليسير ، وأوشك أن يقضى عليها نهائياً بعد تطور عمليات
المعدة الأخير ، ولكن لا بد قبل ذلك من إدخال بعض
التحسينات للتخلص من اختلاطات خطيرة وصمت بها كانت
تجبر الجراحين على الاستغناء عنها

يجب أن نفكر في النتائج البعيدة التي تسببها الأدوية المعدية
قبل أن نطبقها على المرضى المعودين ، فالأدوية المنقصة
للإفرازات المعدية التي تعطي في بعض أمراض المعدة تؤثر في
فعالية السكبد وتلجم خاصته المولدة للدم ، فتكون سبباً للإصابة
بالضعف العام وفقر الدم ، وبالعكس فإن الأدوية المزيّدة
للإفرازات المعدية لا تنشط عمل المعدة الهضمي تجاه المواد
الغذائية فقط ، بل إنها تعمدى ذلك وتؤثر على السكبد فتزيد في
خاصته المولدة للدم ، فتزداد فعالية الجسم ومقاومته تجاه الجرائم
والأمراض

يجب أن تطلق اليد في استعمال الأدوية المعدية ، بل يقتضى
استعمالها بدقة وانتباه وعشورة الأطباء الاختصاصيين .

الدكتور

محمّد السماحة

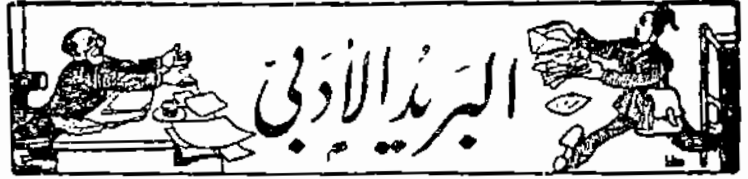
(دمشق)

والطبيعة البشرية حتى في المجال العلمي الطبيعي تقاوم كل نظرية حديثة وقصة مقاومة العلماء والأطباء لنظريات إخوانهم المكتشفين لحقائق جديدة قصة معروفة حتى في هذا العصر . فلبس الأخذ والرد والدفع والجذب في المجال الديني والفلسفي فريداً لا نظير له ، وإنما طبيعة الناس المقاومة لكل حديث إما حسداً وإما ججوداً وضيق فكر ، وإما عن عقيدة واقتناع . والزمن كفيل بمعاونة الحق على الظهور والنمو والغلبة . وبقاء الأسلح قانون طبيعي (وأما ما ينفع الناس فيمكت في الأرض)

فعلى أحرار الفكر الذين يرون آراء حديثة في الحياة أو الاعتقاد أو حياة الاجتماع أن يحملوها حمل آباء الإنسانية الأولين من الأنبياء والحواريين ، وأن يلاقوا في سبيل تبليغها ما لاقى أولئك من التسفيه والتشريد والتجويج والتفتيل إن كانوا بها مؤمنين ، وللإنسانية مخلصين . وعليهم بعد ذلك أن يتحملوا تهمة الكفر والإلحاد التي رى بها الأنبياء . فلقد رى كل رسول تهمة الكفر والإلحاد في العقائد الوثنية والتقاليد والأخلاق الممجية ، ومع ذلك فقد سخرها من الاتهام وتحملوا الآلام حتى انتصروا وانتصرت كلماتهم ، وصار العالم الراق كنه يدين لتلك السمكيات ! وعلى هؤلاء الأحرار بعد كل ما تقدم أن ينتصروا ... وأن يحملوا الطبيعة الإنسانية على الاستجابة لأرائهم إن استطاعوا ... وإلا فعليهم أن يعلموا أن الطبيعة الإنسانية لا تأبى مذاهبهم ولا تستعصى على الاستجابة لها إلا لأنها « نشاز » وشذوذ لا يصلح معه أمر حياة الاجتماع ، ولا يأنس إليه الطبع الإنساني العام الذي لا يخضع للعقل وحده ، وإنما يخضع لمزيج مبهم من العقل والغريزة والعاطفة ...

وقديماً فشل العقل اليوناني بفلسفاته أن يوجد أمة صغيرة كال يونان ، ويقودها نحو الإيمان بالله الواحد ، ويترك الوثنيات التي كانت تضج بها معابدها . . . ولكن الطبع الباكي الصارع الخنفي الفطري المتمثل في إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد والمعلق بالله الواحد ، وبأصول الخير والفضيلة قاد اليونان والرومان ووحدهم . وقاد من بعدهم أمماً عظيمة لا تزال ولن تزال تسيطر على مقدرات الأرض وسياسة الاجتماع

٢ — يدت للأستاذ إبراهيم السعيد عجلان ملحوظتان حول أمرين وردا في المقال السالف الذكر



تعقيب ورد

١ — أوافق الأستاذ الجليل نقولا الحداد على قوله في كتيه المنشورة في العدد ٥٨٣ تعليقاً على مقال « مسائل في وحدة الوجود » : « إن الأديان السماوية الثلاثة ترفض نظرية (وحدة الوجود) رفضاً باتاً وأنها مجممة على أن الله والوجود المادى منفصلان ، وأن الله خالق الوجود المادى ومُسَيَّره » غير أنني لا أوافقها فيما ذهب إليه من أن بيئتنا الفكرية في البلاد العربية ليس فيها محل لحرية الفكرية أو القول أو القلم . فإن ذلك حكم قاس على تلك البيئة التي عرفت أنواع الحريات حتى في القرون الوسطى .

ولست مناقشة أهل مذهب ديني أو فكري لأهل مذهب آخر دليلاً على أن الحرية غير مكفولة ، فإن الصراع والنزال في المجال الفكري لا انتصار مذهب على مذهب ليس معناه الحجر على الحريات ما دام هذا الصراع لم يتخذ سبيل القوة والإرغام والاضطهاد من جماعة لجماعة .

ولست بحاجة إلى التذليل على أن كثيراً من الآراء والمذاهب في البلاد العربية وفي مصر خاصة لا تتفق مع المقدسات من العقائد . ومع ذلك يحيا أصحابها ويستطيعون أن يدافعوا عن آرائهم وحججهم ولا تخمس أشخاصهم بسوء . « ولا يساقون إلى قضاء الامتحان الديني » .

نعم قد تنسب لبعضهم تهمة المساس بالعقيدة الدينية « ويحمل عليه حملة تكافئه » . ولكن ليس بعمدى ذلك إلى غير الاتهام وحملة السمكلام ... وهذا بالطبع جائز لكل مناظر يرى رأياً ويقرر حكماً في حدود الأدب ، وعلى المناظر الآخر أن يدفع التهمة أو يرتضيها لنفسه إن كان ما صدر منه عن عقيدة راسخة يريد أن يدعو الناس إليها

فإن كان الذين يريدون أن يمسخوا العقائد الدينية الموروثة معتقدين مخلصين لأرائهم ، ويرون أنها الحق الذي يجب أن يدعى إليه فلماذا لا يحملون في سبيلها الاضطهاد والعذاب الذي لاقاه مؤسسو هذه العقائد والأديان ، ويلاقيه كل داع إلى الخير ؟

ما يمد كثرة ليس إلا ظواهر للموجود الواحد . إذ تعتبر فلسفة
الكثرة بين الجسد والنفس ، وبين المادة والروح ، وبين
الموضوع والفاعل ، وبين المادة والقوة ، فالذهب الجاحد مثل
هذا التمييز والحيل لأحد حدتي التناقض إلى الآخر ، أو الخالط
الإنثين في وحدة عليا ، يدعى مذهب الوحدة أو مبدأ وحدة
الوجود

« في الفلسفة الغيبية أو الميتافيزيقية ، كان قداماء فلاسفة
الهنود يذهبون إلى أن التغير والكثرة والسببية ليست حقيقة ،
وأن لا حقيقة إلا موجود واحد هو الله ، وهذا البدأ ينكر
الموجودات إلا وجود الله ، والفائلون به هم الخاليون الصوفيون
Idéalistes mytizus أما قداماء اليونان ففلاسفتهم أنكروا مثل
الهنود ، وجود الكائنات ، وقالوا إن الوجود واحد غير متغير
وسرمدى ، ولم يصرفوا بانحد هذا الوجود بالله ، ودون الميل
إلى الصوفية ؛ فكانوا مثاليين أو تصويريين صرف . ومثل هذا
المذهب قالت به الأفلاطونية الجديدة Néo Platonisme ،
وظهر في فلسفة سبينوزا Spinoza ، وفي فلسفة الإطلاق
Absolutisme لهيكل Hegel ، وفي فلسفة Haekel الغيبية
الساعية في جمع المادة والروح في وحدة عالية . فضلاً عن
الوحدة التصورية المثالية Monisme idealiste هناك الوحدة
المادية Monisme materialiste المدعية أن لا وجود إلا حقيقة
واحدة وهي المادة سواء أكانت هذه المادة الأولى مجموع ذرات
أم سديما صدر عنه الكون

« الوحدة » ليست هي « التوحيد » أو الإقرار بوجود إله
واحد ، وإنكار تعدد الآلهة أو الوثنية ، وإنما تطلق على « الوحدة
الحلولية » Monisme prantheiste القائلة بأن لا تمييز بين الله
والكون ، سواء قيل إن الله حال في الكون حلول الجزء في
الكل ، أو قيل إن لا وجود إلا لله وما الكون إلا ظهور الله
أو تجليه ، وهذا ما يناق التوحيد Monothe'isme أي وجود الله
ووجود الخلائق المتميزة عنه . التوحيد لا ينكر أن الله ظاهر
بخلائقه ، ولكنه ينكر أن لا وجود للخلائق . التوحيد ثنائي
أي يقبل بوجود الله ووجود الكائنات متميزة عنه . إن الله
متميز عن الكون ومستقل بذاته ، والكون متميز عن الله لكنه

أولها : تقريرى أن إبراهيم عليه السلام توهم أن الله تعالى
يخلق بأدوات ووسائل ، مع أن إبراهيم سأل : « كيف يحيى
الموتى » ولم يسأل « بأى شيء يحيى الموتى » .
والذى قلته بالحرف : لقد توهم إبراهيم أن هناك « كيفية »
للإحياء ، وأنه هناك أدوات ووسائل للخلق والتكوين
- فأنا لم أحول « كيف » عن معناها حتى ولا لفظها ، بل
قدمت معناها ، ثم ألحقته بلازمه الذى لا بد يخطر بالبال عند
إجراء « كيفية » التكوين والخلق . فإن أدوات التكوين
والخلق في خيال الناس تلحق « بالكيفية » وصورها
تأنيها : تفسيرى الفعل صار من « صرهن » بأذبحهن ...
وهذا في رأى الأستاذ مجلان يناق صريح اللغة وسياق الآية
والرد على هذا الاعتراض من وجهين :

١ - في قاموس الفيروزبادى : (صار الشيء يصوره
ويصوره : قطعه وفصله) وهذا صريح في معنى الذبح . وأكثر
من الذبح وهو التقطيع وتكون « إليك » في الآية ضميمة
لتصوير الحال إذ أن الحال في ذبح الطير أن يميل به الذابح وبضمه
إلى جانبه ليتمكن من إجراء السكين .

٢ - لو كان معنى « صرهن » ضمهن وأملهن فقط
لكان تفسيرها بالذبح تفسيراً بلازم الضم والأمانة في هذا
الموضع الذى يتعين فيه ذلك التفسير ليتناسب ذلك مع (ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءاً)

هــ المزمع فيكون

رأى الأب سرسرى في وحدة الوجود

رداً على كلمة الدكتور زكي مبارك المنشورة في العدد ٥٨٢
من (الرسالة) الفراء أقول : كنت قد كتبت إلى العلامة
الأب سرسرى البرمينيكي أستوضحه رأيه في وحدة الوجود
بعد أن قرأت مقال الأستاذ دريني خشبة الأول حول هذا
الموضوع ؛ فأجاب حضرتته بما يلي :

« الوحدة Monism مذهب فلسفى مما كس في مختلف
وجوهه لمذهب ثنائية أو كثرة الوجود dualisme أو
Plusalisme فينما تميز فلسفة « كثرة الوجود » تعدد الأشياء
تنكر فلسفة « وحدة الوجود » حقيقة التعدد ، وتذهب إلى أن

غير مستقل عنه ، التوحيد يقول إن العالم قد خلقه الله من العدم ، وهذا أبصاً مذهب فلاسفة اليونان كسقراط وأرسطو وأفلاطون . أما غيرهم من أهل الوحدة فيذهبون إلى أن أصل العالم المادة ، وأن هذه المادة القديمة صدرت عنها الموجودات ، وهكذا يخلطون بين العلة المادية والعلة الفاعلة السببية »

أما بعد ، فهذا ما كتبه عالم له في ميدان الفلسفة باع طويل فما قول الدكتور زكي مبارك بعد ذلك ؟

(القدس) (أ . م . م)

بين الفلسفة والدين

قلت للأخ العزيز الأستاذ دريني خشبة إني حاضر لمساجلتهم حول نظرية وحدة الوجود ، على أن يكون أساس المساجلة أن تترك التفكير في أن هذه النظرية تنجي على العقيدة الإسلامية ، فكيف كان رأي في هذا الأساس ؟

تفضل فقال : « هذا شرط عجيب ، ولست أؤثر أن أقول إنه شرط خيبي » ثم كرر هذه العبارة بعد سطور من مقاله الجليل وأقول إن من حقه أن يصف ذلك الأساس بما يريد ، ما دام مخلصاً في الوصف ، وهو في نظري من أهل الصدق والإخلاص

ولكني لا أقبل أبداً إخضاع الفلسفة للدين ، لأن هذا يعمدها عن مراميها ، ويصدها عن رياضة الفكر على التحليل في آفاق المجهول من سريرة الوجود

والخير للإسلام وأهله أن لا تزج به في جميع التيارات الفكرية . فهذا المسلك يبلبل الخواطر ولا يمدد على العقيدة الإسلامية بأي نفع ، وإن ضرره لمحقق

وأقول أيضاً إني لا أجمل الإسلام في بالي عند كل فكرة يجول فيها عقلي ، لأن هذا تعسف وتكلف ، ولأنه صدى للفكر عن الخوض في الحدود والفروض وهي المفتاح لمفاتيح الثروة العقلية والأستاذ دريني قال وكرر القول بأنه يريد لنفسه وللناس إيماناً بسيطاً ، فأنا أرجوه أن يثبت علي إيمانه البسيط ، على شرط أن يسمح لرجل مثلي أن يخفّار الإيمان المعقد إلى أبعد حدود التعقيد والاشتباك ، وهو الإيمان بوحدة الوجود ، وهو إيمان فلسفي لا أريد وصله بالعقيدة الإسلامية ، لأنني أكره

الخلط بين الفلسفة والدين ، ولأنني أمقت مراعاة الناس أما بعد ؟ فهل تريد أن تتساجل على هذا الأساس الذي طاب لك وصفه بأنه أساس عجيب أو خيبي ؟ وفي انتظار جوابك أقدم إليك تحية الشوق وصادق التناء

زكي مبارك

كتب جبرية للمكتوب منور

دعامة الإتيان للقيم الأدبية تركز على صدق في التعبير وصدق في التصوير ، وعلى قدر حظ الأدب منهما يكون حظ آثاره الأدبية من الخلود ، والمتأمل في كل ما أنتجه الدكتور الفاضل محمد مندور يلح في ثنائه روح الصدق في الإحساس والتعبير . فقد كان الدكتور صادقاً حتى في كتابه المترجم ، فأكبر اليقين لا أكبر الظن أن الدافع لترجمته كان ما يشعر به في أعماقه من تجاوب بين هذه الأفكار المترجمة وبين ما تخرجه وجداناته . وتلك ميزة ملموسة شاهدناها في ترجمته لكتاب « دفاع عن الأدب » ولقد كان دكتورنا المفضل صادقاً أيضاً في كتابه « في الميزان الجديد » بل إن كتاباته عن الأدب والشعر المهموس إذا فهمت على حقيقة نهضت دليلاً قاطعاً على صدق التجاوب بين أحاسيس الدكتور وتعبيره . إن رجلاً يحس الخمس ينبض في ألفاظ السكيات ويبلغ من رهافة الحس أن يقيم (لغات الحياة) وزناً كبيراً .. إن رجلاً هذا شأنه لرجل صادق في كل شيء . وإني لأنتهزها فرصة لأقول إن الذي أفهمه من الخمس في الشعر هو صدق التعبير الذي يلمس الفتات ويعني بالخطير من الأمور ، ومن ثم يكون كل صادق هامساً . ومن ثم تكون كل كتابة صادرة عن شعور عميق ، وتأثر بالغ همساً أيضاً ، وهل كانت دموع أستاذنا الزيات حين بكى ولده إلا الخمس النبيل ، وهل كان رثاء الأستاذ العقاد لبيجو غير الخمس ، وكلم في كتاب الأيام من همس حبيب . إن وفاء الكاتب أو الشاعر لموضوعه وإيمانه به وصدقه في تصويره ، لا يخرج إلا الخمس . وما كان دفاع صديقنا الدكتور الجليل عن الأدب المهموس إلا الخمس في أبلغ معانيه . وبعد فإن المكتبة العربية لتعز بهذه الكتب الثلاثة : نماذج بشرية ، ومن الحكيم القديم إلى المواطن الحديث . وفي الميزان الجديد

(الاسكندرية)

محمد محمود البهيتي